علاقة النظام الاقتصادي الإسلامي بالهوية ودوره في تحديد مفهوم والفقراء والمساكين

بقلم
د/ الإمام بله طيب الأسماء حمد(*)

ملخص

الأنظمة الاقتصادية على مر العصور وإلى الآن تسعى دائما لتحديد مجموعة من المبادئ والأصول لتنظم الحياة الاقتصادية لشعوبها؛ من حيث الإنتاج والمستهلك و استغلال الموارد الاقتصادية استغلال أمثل؛ لذا جاء هذا البحث ليوضح أن مسألة الاستخلاف في الأرض هي مسألة حتمية أرادها الله سبحانه وتعالى وهيأ لها الأسباب؛ ولكن هذا الاستخلاف نتج عنه قيام أنظمة اقتصادية متعددة؛ حددت نوع الهوية لكل مجتمع ونشاطهم الاقتصادي وفق فلسفتها للحياة الاقتصادية؛ ومن ثم أوضحت معايير لطبقات المجتمع من حيث الواقع المعيشي.

الكلمات المفتاحية:

النظام الاقتصادي- الهوية- الإسلام- الفقر- العدالة الاجتماعية.

مقدمة

الاقتصاد الإسلامي هو مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي وردت في نصوص القرآن والسنة النبوية، هي أصول ثابتة لا تقبل التعديل والتغيير لأنها صالحة لكل زمان ومكان؛ وهي تعالج مشاكل المجتمع الاقتصادية كافة؛ من حيث

(*) قسم الاقتصاد الإسلامي - كلية العلوم الإسلامية والعربية - جامعة وادي النيل - السودان.
Alemam31@gmail.com

النظام الاقتصادي الذي يجب أن يتبع؛ بالإضافة لتحديد الأفراد الذين ينتمون لهذا النظام مع توضيح نوع الطبقات داخل المجتمع. لذا جاء هذا البحث في توضيح أصل البشر وهوية نظام نشاطه الاقتصادي الذي يمارس فيه حياته الاقتصادية؛ ومن ثم توضيح أي الطبقات الفقيرة أحق بالإنفاق.

المبحث الأول

أصل الخلق وسبب الاستخلاف

أولا: أصل البشر وصفته:

إن الله تبارك وتعالى خلق آدم بيده تشريفا له على سائر المخلوقات كقول الله تعالى: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾[1] ؛ جاء في تفسير الوسيط للطنطاوي: فاسقطوا وخروا له ساجدين، سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة[2]، كما قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[3]؛ لاحظ هنا صيغة التفضيل الأعلون وهي خاصة بالمؤمنين[4]. في حين خلق كل المخلوقات بقوله: ﴿**كُنْ فَيَكُون**﴾؛ وكان هذا الخلق من تراب أو طين أو حمأ أو صلصال؛ وقد اختلفت عبارات القرآن في صفة خلق الإنسان، ففي آية آل عمران يقول تعالى: ﴿**خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ**﴾، وفي الحجر قال: ﴿**مِنْ حَمإٍ مَسْنُون**﴾، وفي الصافات: ﴿**مِنْ طِينٍ لاَزِبٍ**﴾، وفي سورة الرحمن: ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**﴾، وهذه العبارات – وإن كان ظاهرها الاختلاف – لكن هي في الحقيقة لا اختلاف بينها، بل معناها متفق، لأن الله تبارك وتعالى خلق آدم أولا من تراب، فصح في الحديث: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضةٍ قَبَضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم منهم الأحمر والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب»[5].

أن بني آدم يختلف عن الملائكة في الأكل والشرب والمسكن؛ فهم نور لا يأكلون ولا يشربون ولا يعصون الله ولا يصفون بالذكورة ولا الأنوثة. كما يختلف عن الجن كذلك لأن الجن من حيث الخلق فهو مخلوق من النار وحيث والأكل والشرب

والمسكن والجن لا يمكن رؤيتهم.*

ثانيا: سبب الاستخلاف:

إن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم عليه السلام؛ رأى سيدنا آدم عليه السلام في العرش مكتوب: لا أله إلا الله محمد رسول؛ فسأل عليه السلام المولى عز وجل: من هو محمد؟ فقال الله جل شأنه: لولاه ما خلقت يا آدم؛ استدرك آدم عليه السلام أن هنالك خلق من سلالاته هو خير البشر وأفضلهم وأكرمهم عند الله هو محمد صلى الله عليه وسلم. لكن لم يستدرك آدم عليه السلام أين إقامتهم. هذا السر كان يعلمه المولى عز وجل وهو الخلافة في الأرض لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[6]؛ وتم ذلك بابتلاء من الله سبحانه وتعالى؛ حيث سلّط عليهم إبليس وهو عدو لهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾.[7] علم إبليس عليه لعنة الله أن هنالك ضعف في آدم ولابد من استغلاله؛ وهو حاجته للأكل لذا جاء لآدم وحواء فوسوس لهما وقاسمهما بأن الله ما نهاهم عن الأكل من تلك الشجرة؛ حتى لا يكونا ملكين أو أن يكونا خالدين في الجنة؛ فأوضح ذلك المولى عز وجل بقوله تعالى: ﴿**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾،[8] وقوله تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**﴾[9].

لذا يرى الباحث أن فتنة الإنسان هي الأكل والشرب في بداية الخلق ونهايته (البداية فتنة إبليس، والنهاية فتنة المسيح الدجال) على هذا المنطلق قامت كل النظريات الاقتصادية القديمة والحديثة على أن الاستهلاك وهو المحرِّك الأول للنشاط الاقتصادي ككل. لأن لولا الاستهلاك لما كان الإنتاج ولما كان التوظيف الأمثل للموارد الاقتصادية بشقيها؛ ولما كان تكوين رأس مال ولا الأرباح ..الخ؛ لذا عمد مفكرو العولمة الاقتصادية لأن تكون الدول وفي مقدمتها الدول النامية دولاً فقيرة ومستهلكة في المقام الأول؛ وسوقا هاما لمنتجاتهم لذا قامت الشركات

العابرة للقوميات ومنظمة التجارة العالمية لضبط حركة التجارة بين الدول المشاركة ومن ثم لتقسيم الأسواق علي الدول الصناعية؛ وقيام ومؤسسات التمويل الدولية بالإضافة لإقامة التكتلات الاقتصادية وغيره.

لذا بناء على تميز الإنسان بخصائص عن سائر الخلق (الجسد والروح ولكل منهما غذاء) يجب توضيح مفهوم هويته والبيئة التي ينتمي إليها؛ والمنهج والذي يحكم سلوكه والنظام والمذهب الذي يتبعه ويختلف فيه عن غيره على حسب دينه ومعتقداته؛ ليسهل شرح ومعرفة المصطلح الذي يصنف ويوصف به عن غيره.

المبحث الثاني

مفهوم الهوية علاقتها النظام الاقتصادي

الاقتصاد يلعب دورًا حاسمًا ومركزيًا في تحديد هوية الدولة والمجتمع، بل لعله لا يغيب عن بال أحد أن العالم ظل على امتداد معظم القرن الماضي مقسوم إلى معسكرين متصارعين صراعًا مريرًا، وقد كان التمايز بينهما يتم على أساس نهجهما الاقتصادي، نعني بهما المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي، والذي كان يؤمن بالاقتصاد المقيد، وبسيطرة الدولة على الاقتصاد وتوجيهه، والمعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية والذي يؤمن بحرية السوق وبانسحاب الدولة منه.

لم يقتصر التمايز في الهوية على أساس اقتصادي عند حدود النظم الأرضية والدنيوية، بل امتد إلى النظم السماوية الدينية، وفي هذا السياق يأتي الحديث عن النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يُحرّم الربا والجشع والاستغلال، وهي من أهم مكونات الاقتصاد الرأسمالي خاصةً في نظامه المصرفي، مثلما يتناقض النظام الاقتصادي الإسلامي مع النظام الاقتصادي الشيوعي في الكثير من مكوناته، غير أن ذلك لا ينفي أن النظام الاقتصادي الإسلامي يلتقي مع بعض جوانب النظام الاقتصادي الحر، مثلما يلتقي مع بعض جوانب النظام الاقتصادي الشيوعي، لكنه في النتيجة النهائية يتمايز عنهما مثلما يتمايز كل منهما عن الآخر، وكل واحد من هذه الأنظمة الاقتصادية يطبع الدولة التي تطبقه بطابعها، مما يؤكد أن الاقتصاد يلعب

دورًا حاسمًا ومركزيًا في تحديد هوية الدولة.[10]

أولا: تعريف الهوية في اللغة والاصطلاح:

يستلزم تعريف الهوية لمعرفة تميز الإنسان عن غيره من مخلوقات الله (عن الملائكة وعن الجن وغيره) فهو يسعى ليسد رمق الجوع والعطش ؛ وهذا السعي يختلف من شخص لآخر حسب بيئته وفلسفة مذهبه وحسب معتقداته؛ وهنا يحدث التفاوت في الرزق كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا** ﴾؛[11] وقوله تعالى أيضا: ﴿ **وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾.[12]إذا تحديد هوية الفرد أو المجتمع تفسر معنى المصطلح المستخدم لتفاوتهم في الكسب والرزق والمعايش.

1/ تعريف الهوية لغة:

هي تصغير كلمة (هوة)، وهي: "كل وهدة عميقة"[13]. والهوية بالمعنى الفلسفي تعني حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره، وتُسمَّى أيضاً وحدة الذات[14]. وقد ورد هذا المصطلح بمعنى (هو هو)* إشارة إلى شخص النبي صلى الله عليه وسلم؛ وعرفها ابن حزم بقوله: "وَحَدُّ الهوية هو أن كل ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه، إذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد البتة، فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر"[15].

2/ تعريف الهوية اصطلاحاً:

أ) "هي إحساس فرد أو جماعة بالذات، نتيجة وعي الذات، بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تمييزه عن الآخرين"[16]. وهي عكس الهو المطلق والتي تعني عند ابن سينا: "هو الذي لا تكون هويته موقوفة على غيره، فإن كل ما هويته موقوفة على غيره فهو مستفاد منه"[17].

ب)هي الشيء الذي تهواه أفئدة الجماعة أو الأمة، أو هو ما يستقطبها. ومن معنى

اللفظ "هُوَ" يكتسب معنى "التميّز" ومعنى "المطابقة"، وجاء في المعجم الوسيط عن معنى الهوية أنها: "حقيقة الشيء أو الشخص التي تميّزه عن غيره. وبناء على ذلك، وعلى فأن معاني الهوية التي تدور حول: حقيقة ذاتية تشكّل محور استقطاب للأمة أو للفرد وتميّزهما عن غيرهما. وحين يعرّف المسلم ذاته فهو يقدّم نفسه بحقيقته الأسمى التي يعتز بها ويفخر: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[18]. فيقول: أنا مسلم، أو: إنّني من المسلمين. وهو تعريف بذاته "الاختيارية" التي يعتز بها[19].

ج) عرفت كذلك بأنها: حقيقة الشيء وصفاتها التي يتميز بها عن غيره؛ وتقوم هوية كل أمة على ما تتميز به عن غيرها من الأمم كدينها ولغتها وقوميتها وتراثها[20].

د) مفهوم الهوية في الإسلام فتعني: "الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة على الناس".[21]

والهوية الجماعية للأمّة الإسلاميّة هي: الاجتماع على الإسلام والانتساب إلى الشرع، وهي التي تتحقّق بها "شرعيّة التجمّع" في الإسلام.

خلاصة القول أن هوية الأفراد والمجتمعات هي التي تحدد نوع النظام الاقتصادي الذي ينتمون إليه؛ بالتالي نجد أن العالم شهد قيام عدة نظم اقتصادية؛ ولكل نظام رؤيته و فلسفته لحل مشاكله الاقتصادية؛ مما سبق يمكن توضيح مفهوم النظام والمذهب الاقتصادي الذي ينظم سلوكه الاستهلاكي ونشاطه الإنتاجي.

ثانيا: تعريف النظام الاقتصادي:

أ) يمكن تعريف النظام الاقتصادي بأنه الطريقة التي يفضل المجتمع اتباعها في حياته الاقتصادية وحل مشاكلها العملية. والنظام الاقتصادي بهذا المفهوم يرتكز على مجموعة من القواعد والقيم التي يراعيها المجتمع في نشاطه الاقتصادي ويلتزم

بها، والتي تشكل ما يعرف بالمذهب الاقتصادي إن من أبرز النظم الوضعية التي سادت في هذا العصر هما النظامان الرأسمالي والاشتراكي. النظام الرأسمالي استمد فلسفة نشاطه الاقتصادي على أساس الحرية المطلقة لكيفية الإنتاج والملكية الفردية لوسائل الإنتاج. أما النظام الاشتراكي فأقام نشاطه الاقتصادي على أساس أن الدولة هي المالكة لكل وسائل الإنتاج (الموارد الاقتصادية) وهي التي تحدد نوع الإنتاج.

ب) النظام الاقتصادي مجموعة من المؤسسات الاجتماعية التي تتعامل مع الإنتاج، التوزيع، الاستهلاك للبضائع والخدمات ضمن مجتمع معين. النظام الاقتصادي يتكون من أشخاص ومؤسسات، وتتضمن أيضا علاقاتهم مع مصادر الإنتاج، مثل الملكية أو للملكية. بالتالي فهي تتعامل مع مشاكل الاقتصاد مثل تحديد وإعادة توزيع المصادر الفقيرة في اقتصاد ما. أمثلة عن النظم الاقتصادية المنتشرة : الرأسمالية، الاشتراكية والاقتصاديات المختلطة، الاقتصاد الإسلامي.

ج) تعريف النظام الاقتصادي الإسلامي بأنه: الطريقة التي يتعين على المجتمع الإسلامي اتباعها في حياته الاقتصادية وحل مشاكلها العملية. لذا هو يعترف ويقر بكلا الملكيتين الخاصة والعامة ويجعل لكل منهما حدودها ومجالها وضوابطها.

د) المذهب الاقتصادي، هو عبارة عن: إيجاد طريقة لتنظيم الحياة الاقتصادية، تتفق مع وجهة نظر معينة من العدالة. لذلك ينظم المذهب الحياة الاقتصادية ويحدد كيف ينبغي أن تكون وفقاً لتصوراته عن العدالة وماهية الطريقة العادلة في تنظيمها. أي أن المذهب الاقتصادي للمجتمع هو عبارة عن الطريقة التي يفضل المجتمع اتباعها في حياته الاقتصادية وحل مشاكلها العملية. ولتحقيق هذا الغرض والتأكيد على الطابع المذهبي للاقتصاد الإسلامي، كان يكفي أن نقول عن المذهب: أنه طريقة، وعن العلم: أنه تفسير، لنعرف أن الاقتصاد الإسلامي مذهب لا علم. والمَذْهَبُ (عند العلماء): هو مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ترتبط بعضها ببعض ارتباطًا يجعلها وحدة منسقة وجمعها: مَذَاهِبُ.

المبحث الثالث
تعريف الفقراء والمساكين

الوفرة والندرة والجوع والحرمان من المفاهيم الاقتصادية الشائعة في النظر إلى واقع المجتمعات البيئي والمعيشي. وكثيراً ما يقع تنزيل هذه المقاييس في المجتمعات المختلفة دون الانتباه إلى اختلاف الثقافات وعلاقتها بالقيم الكونية كالعدل والحرية والسعادة والأخوة. فالمجتمعات تشترك في القيم وتختلف في إنتاجها باختلاف هويات انتظامها السياسي. قبل أن تناول مفهوم الفقراء والمساكين؛ هنالك بعض الإشارات الاقتصادية لابد من ذكرها إضافة للهوية الإسلامية والانتماء إليها وكذلك المذهب والنظام الاقتصاد الإسلامي؛ وهي أن الرسول صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي؛ وهو الذي أوجب مخالفة اليهود والنصارى مع أنه أوضح أننا سنتبع سنتهم.

أولا: بالنسبة لجواز معاملة أهل الذمة:

ذكر أهل العلم أن معاملة أهل الذمة وغيرهم من المشركين في البيع والشراء جائزة، ولم يخالف في ذلك أحد؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام لأهله صلى الله عليه وسلم. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (اشترى من يهودي طعاماً ورهن درعه عنده) وفي رواية: (اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما إلى أجل ورهن درعه). وعن السيدة عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين، يعني صاعاً من شعير)[22].

من هذه الأحاديث نستنتج أن هنالك إشارة وتربية واضحة من الرسول صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن ومسلم وفي كل زمان أن اليهود أهل علم وأهل الاقتصاد.

وذكر أهل التفسير أن الله سبحانه وتعالى بشّر سيدنا إبراهيم عليه السلام بغلام عليم هو سيدنا إسحاق عليه السلام ومن ورائه يعقوب جد إسرائيل كما في قوله

تعالى: ﴿ نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾[23]، وفي هذه الآية إشارة واضحة بأن اليهود هم أهل علم ومنه علم الاقتصاد لذا قال الحق عز وجل: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾[24]. وتشمل كلمة "قوة" هنا قوة الاقتصاد؛ لذا يجب التعامل معهم بما حدّده الشرع ووضحه الفقهاء؛ وليس التعامل معهم باقتراض الأموال (تجنبا للربا)؛ لذا نجد أن الرسول صلى الله عليه رهن درعه بالرغم من أن هنالك من الصحابة رضوان الله عنهم من يمتلك قدرا من المال؛ أمثال أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث القرشي الزهري رضي الله عنه وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة[25]؛ وكان عظيم التجارة كثير المال، ورغم ذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم أشار لهذه العاملة (رهن الدرع) خوفا على أمته من التعامل بالربا فيقعوا في المهالك لقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾[26].

ثانيا: مخالفة أهل الكتاب في توضيح مفهوم الفقراء والمساكين:

مما ذكر سابقا يتضح أن أهل الكتاب هم أهل علم بما في ذلك علم لاقتصاد لذا يجب مخالفتهم في ما يخالف الشرع. عَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ». عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اليَهُودَ والنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟»[27]. وما يخصنا هو توضيح مفهوم طبقة الفقراء والمساكين لأن تعريف هذه الطبقة في فلسفة النظريات الاقتصادية الوضعية تقوم على أنهم طبقة واحدة وعلى المادية البحتة أي مستوى الدخل أولا ثم تقسيمات أخرى في مضمونها خدمة الإنتاج العالمي.

يرى الباحث يجب مخالفة النظريات الاقتصادية الوضعية في توضيح مفهوم الفقراء والمساكين؛ يلاحظ أن النظريات الاقتصادية الوضعية لم تتعرض لمفهوم المساكين

عندما تناولت دالة الاستهلاك؛ بل اعتبرت الفقراء والمساكين هم صنف واحد لذا ذكرت النظرية إن الميل الحدي للفقراء عالي جدا؛ وهنا إشارة إلى أن حركة الاقتصاد (الإنتاج) كلها تقوم على إنفاق هذه الشريحة من المجتمع لأن دالة استهلاكهم متغيرة (حاجات الإنسان متعددة ومتجددة ومتنوعة ومستمرة ولانهائية) بخلاف استهلاك الأغنياء الذي يكون في مرحلة من مراحل الاستهلاك ثابت لذا نجد مفكري العولمة الاقتصادية جعلوا العالم أكثر فقرا لتسويق منتجاتهم بأنواعها المختلفة (السلعية والخدمية).

إذا يجب توضيح مفهوم الفقراء والمساكين بناء على مخالفة التعريف المادي: (مستوى الدخل الفرد؛ والصحة؛ التعليم؛ المياه النظيفة ؛ وتحسين المستوى المعيشي للأسر؛ وغيره. ومخالفة التعريف المادي ناتج من سببين هما: أولهما لأنهم صنفان وليس صنف واحد لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾[28]. والثاني أن الإنفاق عليهم واجب وعقيدة لكل غني مسلم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾[29] .

لكن ما هي النتيجة النهائية؟ ولن يزداد العالم إلا فقرا وجهلا ومرضا. لذا يجب اتباع المنهج الاقتصادي الإسلامي الذي حدد من هم الفقراء، وما هي حصتهم من الزكاة؟ ومن هم المساكين؟ وما هي حصتهم من الزكاة؟.

ثالثا: تعريف الفقراء والمساكين:

لن يكون هنالك قول جامع على تعريف كل من الفقراء والمساكين؛ لكن يجب أن يكون مبنى التعريف على شيئين هما:

1/ مخالفة اليهود والنصارى في تعريفهم المادي للفقر وجهلهم لمفهوم المسكنة.

2/ أن يكون مبنياً على تعريف السلف الصالح؛ ودعمه بالدراسة العلمية المبنية على بيانات عن الفئتين.

أ) تعريف الفقر في الاصطلاح الاقتصادي: هناك مفاهيم عديدة للفقر في الأدبيات الاقتصادية والاجتماعية منها على سبيل المثال:-

❖ تعريفه لدى البنك الدولي: (الفقر هو عدم القدرة على تحقيق الحد الأدنى من مستوى المعيشة)، هذا التعريف يعتمد تحديد مفهوم الفقر بالحد الأدنى للمستوى المعيشي[30].

❖ تعريفه لدى المجلس الأوربي: (هم الأشخاص الذين تكون مصادرهم المادية الثقافية أو الاجتماعية ضيقة إلى حد الإقصاء من أنماط الحياة المقبولة في الدولة الواحدة التي يعيشون فيها)[31].

❖ هو عدم القدرة على تحقيق مستوى معين من المعيشة المادية والذي يمثل الحد الأدنى المعقول والمقبول في مجتمع من المجتمعات في فترة زمنية محددة.

❖ هو انخفاض مستوى المعيشة عن مستوى معين ضمن معايير اقتصادية واجتماعية والافتقار إلى القدرة على التعلم واكتساب المعارف[32].

وبرأينا فإن التعريفات السابقة رغم أنها تتسم بالموضوعية إلا أنها مبنية على العاطفة، ومن خلفها دراسة خفية تحدد وتصف أشخاص بعينهم لا يمتلكون قوت يومهم أو عامهم، يجب معرفتهم ودراستهم وبقاءهم على ما هم عليه لضمان وجود سوق ضخمة للرأسمالية المتعدية للقارات. وفي حقيقية الأمر هذه الدراسة والتصنيف مرغوب لدى الشركات الكبرى لإشعارهم أن هناك مؤسسات تهتم بهم وتسعى لتحسين أوضاعهم المعيشة؛ وفي الوقت نفسه يشعرونهم بالدونية والاستضعاف من أجل التبعية الاقتصادية؛ وهذه الفئة التي حددها اليهود والنصارى هي الفئة التي يجب الاعتماد عليها في تحريك عجلة اقتصادياتهم. ولو لم يكن الأمر كذلك؛ ماذا يعني إذا كان الناس كلهم أغنياء؟ يقول مفكرو النظرية الاقتصادية سيظل الاستهلاك ثابتا؛ لم يكن هنالك استهلاك تلقائي، لم يكن هنالك ميل ورغبة في شراء السلع؛ يكثر الادخار ويقل الاستثمار؛ ينكمش الاقتصاد وتزداد

الأزمات ويقل حافز الإنتاج، وليس هنالك حاجة للملكية الخاصة.. وغيره.

ب) الفقر في الاقتصاد الإسلامي: هنالك اختلاف بين علماء اللغة وأهل التفسير والحديث والفقهاء في تعريف الفقراء والمساكين؛ فمنهم من يرى الفقير أشد حاجة من المسكين ومنهم من يرى خلاف ذلك؛ لذا نورد وجهتين من حيث الحاجة والعدم والفاقة:

الوجهة الأولى: ترى الفقير أحسن حالا من المسكين فهذا رأي الأحناف والمالكية:

❖ **الرأي الأول**: رأي الأحناف: جاء عند علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني: قال الحسن: الفقير الذي لا يسأل الناس. والمسكين الذي يسأل الناس. لقوله تعالى:﴿**أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ**﴾[33]؛ جاء في تفسير ابن عاشور أن أصحاب الجنة نهي بعضهم بعضاً عن دخول المسكين إلى جنتهم، أي لا يترك أحد مسكيناً يدخلها؛ وهذا من قبيل ومن شدة حرصهم وبخلهم في عدم الإنفاق. وكذلك ذكر أبو يوسف عن أبى حنيفة: الفقير الذي يملك شيئا يقوته. أما المسكين الذي لا يملك شيئا يقوته.

❖ **الرأي الثاني**: رأي المالكية: يقول أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي: الفقراء هم الذين يملكون ما يكفيهم؛ بخلاف المساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم وهم أشد حاجة من الفقراء. فهنالك اتفاق بين الأحناف والمالكية في تحديد حاجة المسكين وهي أشد من الفقير. إذا اعتمدنا على أن الحاجة هي حاجة الأكل والشرب والكساء والمأوى وتكوين الأسرة والتعليم والصحة وتحسين الوضع المعيشي وغيره.

الوجهة الثانية: ترى المسكين أحسن حالا من الفقير، وهما رأي الشافعية والحنابلة:-

❖ **رأي الشافعية**: الفقير الذي لا مال له ولا حرفة، والمسكين من له مال وله

حرفة.

❖ **رأي الحنابلة**: يقول أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي: الفقراء هم الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم بخلاف المساكين الذين يجدون معظم كفايتهم[34].

يري الباحث أن قول الأحناف والمالكية هو الراجح لأنه مخالف لتعريف اليهود والنصارى الذي جاء به البنك الدولي ومخالف لرأي نظرية كينز الذي أوضح أن الميل الحدي للاستهلاك عند الفقراء أعلى من غيرهم، ويمكن القول أن الاقتصاد الإسلامي يرى أن الميل الحدي للاستهلاك عند المساكين لو أنفقوا عليهم هو أعلى من الفقراء، والفقراء ميولهم الحدية أعلى من الأغنياء؛ وهذا يقودنا إلى تصنيف كل نظام لطبقات مجتمعه؛ ولدينا مثل سوداني يقول: (الحاري ولا المتعشي) بمعنى الشخص الذي يتوقع ما يأكل غدا هو الفقير خير من الذي يجده عشاءه الآن ولا يعلم من أين يكسب غدا. وهذا يؤكده قول أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إني كنت امرؤ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم)[35].

خلاصة القول أن تحديد مفهوم الفقر في الاقتصاد الإسلامي تحدده جهات عدة وهي مسؤولة أمام الحق عز وجل لا من أجل السمعة والمحاباة والقرابة؛ فمثلا التصنيفات التابعة للزكاة يجب أن تقوم بها منظمات المجتمع المدني وديوان الزكاة والإرشاد والتوجيه ورؤساء الأحياء عبر معايير تحددها الدولة؛ لأن شريحة الفقراء والمساكين هي الشريحة المحركة للاقتصاد كما أسلفنا سابقا. نحن في السودان وكدولة فقيرة؛ نجد مستوى الدخل لمعظم العاملين بالدولة وباختلاف درجاتهم الوظيفية ضعيف لا يفي بمتطلبات الحياة فهم حسب تصنيفات البنك الدولي فقراء، ولكن هم أحسن حالا من الموظفين، لا يجدون مصدر دخل ثابت ولا يجدون عملا؛

وبالتالي هذه الشريحة ما تحصل عليه من دخل ينفق على الاستهلاك الضروري (أي السلع الرديئة) بخلاف الطبقة العاملة الآنفة الذكر التي تلجا أحيانا للبيع بالتقسيط بضمان المرتب وغيره أو الدخول في ضمانات التأمين أو الصناديق التعاونية داخل بيئة العمل. لذا نرى من خلال الجدول أدناه أن طبقة المساكين وعلى حسب مصادر جمع البيانات لديوان الزكاة لكل دولة هم أقل عددا من الفقراء. وهذا هو الوضع الطبيعي؛ وإلا سوف لا يكون هنالك دول معظم شعبها فقراء ومساكين. إذا من لا يعرف من أين يكسب غدا هو المسكين الذين يجب إعطاؤه من مال الزكاة حتى يغنى.

الجدول رقم (1) يوضح حجم المستفيدين من الزكاة بالولاية الشمالية دنقلا بالسودان خلال الفترة من 2006 حتى 2015م

السنة	عدد المستفيدين من الفقراء	الصرف الحقيقي الفعلي	حجم المستفيدين من المساكين	الصرف الحقيقي الفعلي
2006	20300	253092181	2022	253092
2007	20500	2303982023	2232	1673587
2008	20700	2094372	2500	2224309
2009	17620	253919015	2849	431836389
2010	16328	253917015	1822	1362286
2011	27527	3517506	4610	969752
2012	108132	11018252	3630	4451310
2013	112667	2037650118	4973	5019403
2014	95719	2660443838	7531	9676416
2015	100948	3112399342	10128	15144389

المصدر: ديوان الزكاة بالولاية الشمالية بالسودان

يلاحظ من الجدول أعلاه أن عدد المساكين والمستفيدين من الزكاة هم أقل من الفقراء؛ نسبة لقلة عددهم بالنسبة لإجمالي السكان بالولاية. وهذا الجدول ويوضح الوضع الطبيعي لسكان الولاية أو الدولة بأن الشخص المعدم أي الذي لا أرض زراعية له ولا توظيف ولا يعلم من أين يقتات هو المسكين الذي يسأل الناس، وقس على ذلك المشردين من دولهم بسبب الحرب الأهلية أو بين دولتين وغيره.

وفي دراسة بعنوان "**دور التمويل الأصغر في محاربة الفقر في المناطق الريفية ضمن أطر المالية الإسلامية**" قام بها الدكتور موسى بن منصور والأستاذ توفيق براهم شاوش جاءت نتائج بياناتها لعدة دول عربية اكتفينا منها بالدول الآتية: الأردن وتونس والسودان. الملاحظ أن نسبة الفقراء في السودان 85٪ كما موضح في الجدول أدناه:-

البلد	إجمالي الفقراء (ريف + حضر)		فقراء الريف		(٪) من إجمالي الفقراء
	العدد بالمليون نسمة	(٪) من إجمالي السكان	العدد بالمليون نسمة	(٪) من إجمالي السكان الريفيين	
الأردن	0.6	14.2	0.16	12	27
تونس	0.6	6.0	0.2	6	33
السودان	26.4	85.0	17.6	87	67

المصدر: نقلا عن دراسة الدكتور موسى بن منصور والأستاذ توفيق براهم شاوش "دور التمويل الأصغر في محاربة الفقر في المناطق الريفية ضمن أطر المالية الإسلامية"

فلو سلمنا بهذه البيانات جدلا ستكون نسبة الأغنياء أو الذين وضعهم المادي أحسن هم 15٪ فقط؛ السؤال من أين أنشئت هذه المدن؟ السودان في حقبة من الزمن كان داعما ماديا وخدميا لبعض الدول؛ وكان قيمة العملة الوطنية في السنوات السابقة أكبر قيمة الدولار؛ ورغم ويلات الحرب الأهلية السودان في عام 1992م مزق حكومة السودان فاتورة القمح واكتفى ذاتيا، بالإضافة لاستخراج النفط وإنشاء مشروعات البنية التحية وقيام أكبر شركة اتصالات في الوطن العربي وغيره. وعليه يرى الباحث أن هذه التصنيفات التي تصدر من البنك الدولي أحيانا أو

منظمات حقوق الإنسان هي دراسات مبنية على معرفة الأسواق ومتطلبات الإنتاج لهذه السوق، في الإسلام أحيانا يكون زهدا وأحيانا أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم كان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع. وأحيانا واقعا عدما فرضته ظروف الحياة ليكون امتحانا للمسلم لينال رضوان الله في الدنيا بالصبر؛ وينال حظه من الحياة الآخرة. وهذه القصة توضح بأن الفقير الذي يملك والمسكين الذي لا يملك شيئا حسب رأي الإمامين مالك والحنفي رغم ترادف المصطلح؛ خرج أبو مسلم يوما ثم رجع آتيا إلى أهله يطلب طعاما، فقالت له امرأته: ما عندنا شيء، فبحثا داخل الدار فما وجدوا إلا ديناراً، فقالت له امرأته: اشترِ لنا بها طحيناً نخبز به خبيزاً، وأعطته وعاء، فخرج بالوعاء ذاهباً إلى السوق ليشتري طحيناً، فإذا بسائل فقير يسأل، وليس عنده إلا هذا الدينار، ولكنه أحسن الظن بالله وأعطاه الدينار لعل الله أن يعوضه خيراً ورجع إلى داره، فمر على مكان نجارة فملأ الوعاء بنشارة النجارة، ثم جاء إلى امرأته وأعطاها الوعاء، وذهب إلى مصلاه يصلي، وبعد فترات قصيرة جاءته امرأته بالخبز حاراً، فقال لها: من أين لنا الطحين؟ قالت: من الذي أتيت به، فجعل يأكل وهو يبكي. فلما أحسن الظن بالله لم يضيعه الله.

- الحواشي والإحالات:

[1] - سورة الحجر، الآية:29.

[2] - تفسير الوسيط للطنطاوي، http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary-waseet-katheer-baghawy/sura15-aya29.html#baghawy

[3] - سورة آل عمران: الآية: 139.

[4] - ملتقى أهل التفسير http://vb.tafsir.net/tafsir24096/

[5] - رواه أحمد (4/400، 406) وأبو داود (4693) والترمذي (5/204) وابن خزيمة في التوحيد (ص 64) وغيرهم بسند صحيح.

[*] روى ابن حبان والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :الجن ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وعقارب، وصنف يحلون ويظعنون. وقد ذكر أهل العلم أن الجن يتشكلون بأشكال مختلفة فيتصورون بصور الكلاب، ففي صحيح مسلم الكلب الأسود شيطان، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى :الكلب الأسود شيطان الكلاب والجن تتصور بصورته كثيراً، وكذلك بصورة القط الأسود، لأن

السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة . وقد يتصور الجن أحياناً بشكل بني آدم كما في حديث البخاري في قصة السارق الذي أخذه أبو هريرة ثلاث مرات ثم أطلقه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة ذلك شيطان .وقد ذكر الطبري والقرطبي وابن كثير عن ابن عباس أن إبليس تمثل لقريش يوم بدر في صورة سراقة بن مالك المدلجي وجاءهم بجيش وزعم أنه أراد نصرهم، فلما رأى الملائكة فر وهرب .ويأكلون أيضاً من اللحوم التي يجعلها الله على العظم بعد انتهاء الإنس منها، ففي صحيح مسلم أن الجن سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاد، فقال :لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم .أما مساكنهم في الأرض مع الشر و البحار والأنهار والصحاري والأودية حتى الحجر وغيره

[6]- سورة البقرة، الآية: 30.

[7] - سورة البقرة، الآية: 36.

[8] - سورة الأَعراف: 20.

[9] - سورة طه، الآية: 120.

[10] - بلال حسن التل، مقال في جريد الرأي الأردنية بعنوان "عن المضمون الاقتصادي لهوية الدولة" الخميس ١٩-٥-٢٠١٦، http://www.alrai.com/

[11]- سورة الزخرف، الآية: 32.

[12] -سورة الأَنعام، الآية: 165.

[13] - المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية؛ المطابع الأميرية - القاهرة 1403ه، 1983م، ص 208.

[14] - ابن منظور، لسان العرب / 15، دار صادر- بيروت، ص ص375-367.

[*] فقول أبي ياسر (أهو هو) إشارة إلى شخص النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الموصوف بها في التوراة.

[15] - ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والنحل، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة- مصر، د.ت، ص 107.

[16] - حبيب صالح مهدي، مقال بعنوان "دراسة في مفهوم الهوية"، مركز الدراسات الإقليمية، العراق المجلد5 العدد13، 2009م، ص478.

[17] - المعجم الفلسفي، مرجع سبق ذكره، ص 207.

[18] - سورة فصلت، الآية33.

[19] - شريف محمد جابر، الهوية الشرعية دراسة في التأصيل الإسلامي لمفهوم الهوية، موقع شبكة الألوكة، ص ص 8-9.

[20] - محمد عمر أحمد أبو عنزة، رسالة ماجستير بعنوان" واقع إشكالية الهوية العربية: بين الأطروحات القومية والإسلامية دراسة من منظور فكري، أشراف الدكتور غازي الربابعة، جامعة الشرق الأوسط،2011م، ص ص35-36.

[21] - خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد- العراق،2009م، ص45.

[22] - انظر مجلة البحوث الإسلامية، فقه التعامل مع غير المسلمين العدد السبعون ج/ 70، المملكة العربية السعودية

الإصدار: رجب إلى شوال لسنة 1424ه، ص243،). انظر كتاب الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري الجزء الثامن، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ب ت، حديث رقم(4467) ص151.

[23] – سورة الحجر، الآية: 53.

[24]– (سورة الأَنْفال الآية60.

[25] – مساعد عبد الله الحقيل، ربح ما لم يضمن، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، 2011م، ص25.

[26] – (سورة الحديد، الآية 20.

[27] – رواه البخاري (1397) ومسلم (4822).

[28] – سورة التوبة، الآية:60.

[29] – سورة التوبة، الآية 103.

[30] – البنك الدولي، تقرير عن التنمية في العالم، مؤسسة الأهرام، القاهرة – مصر،1990م، ص41.

[31] – عبد الرزاق الفارس: الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت– لبنان،2001م، ص22.

[32] – صادق علي طعان، الفقر الاقتصادي والفقر المعرفي مقاربة اقتصادية، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، مجلد 3،العدد16 – العراق،2010م ص33.

[33]– سورة القلم، الآية 24.

[34] – عبد السلام الخرشي، بحث دكتوراه منشور بعنوان "فقه الفقراء والمساكين في الكتاب والسنة"، إشراف الشاهد البوشيخي، المؤيد للنشر والتوزيع، جدة– السعودية، 2002م، ص ص27–28.

[35] – أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الحجة على من قال إن أحكام، حديث رقم (7354).